MIGRANT-RIGHTS.ORG

الجزء الأول، قصص من المنشأ، سيراليون

مع ما ينطوي عليه من مخاطرة بالأرواح والأجساد: الإتجار بالبشر هو الشكل الوحيد لتوظيف السيراليونيين المتجهين إلى الخليج

في بداية تقريرنا المكون من جزأين، عن سيراليون، نستكشف كيف أن جيل ما بعد الحرب أكثر عرضة للاتجار والاستغلال

بواسطة: فاني ساراسواتي (ترجمة: هناء بوحجي) سبتمبر 2023

الجزء الأول، قصص من المنشأ، سيراليون............ 1
مع ما ينطوي عليه من مخاطرة بالأرواح والأجساد: الإتجار بالبشر هو الشكل الوحيد لتوظيف السيراليونيين المتجهين إلى الخليج....... 1
في بداية تقريرنا المكون من جزأين، عن سيراليون، نستكشف كيف أن جيل ما بعد الحرب أكثر عرضة للاتجار والاستغلال........... 1
المخطط الهرمي............ 5
نشأة الأخوة............ 7
يأس جيل ما بعد الحر............ 11
قوة الجمعيات............ 13
سياسة هجرة العمالة في سيراليون 2022............ 13
الجزء الثاني، قصص من المنشأ، سيراليون............ 15
بعد الإساءات المبرحة، السيراليونيات يشهرن أسلحتهن............ 15
الصدمات الكهربائية والجوع يشعلان نشاط ضحايا الاتجار بالبشر............ 15
اليد الثقيلة لتنفيذ القانون في الكويت............ 17
بذرة وبرعم وطريق للخروج من الفقر المدقع............ 24
عندما تجرم الصور النمطية، الضحايا............ 27

إن كنت راغباً، فهناك «برنامج» لك، برنامج مصمم بشكل يتناسب مع أحلامك. ورغم الثمن الباهظ لهذا البرنامج، إلا أنه لا يصرف نظر الفقراء واليائسين، عنه. وتعتبر سيراليون من أفقر الدول في العالم حيث يعيش أكثر من 25% من سكانها بأقل من 1,9 دولار أمريكي في اليوم، وهناك تصور بين جيل الشباب أنه لا يوجد ما يبعث على الأمل بأي تحسن في الوضع في المدى القريب. كما أن هناك نقاط ضعف متراكمة للنساء تحديداً حيث تكون 61% ممن هن في الفئة العمرية مابين 15 – 19 قد تعرضن لتشويه الأعضاء التناسلية «الختان» وترتفع النسبة إلى 95% لمن هن في الفئة العمرية مابين 54 – 49 عاما. واستغلالا لوضع انعدام الأمان هذا، فإن الرجال والنساء الذين يروجون لهذه البرامج، هم النسخة السيراليونية من 'بائعي زيت الثعبان'. فهم يكونون سلسلي التعامل، ومثابرين في اظهارهم للمساعدة حتى تصل إلى المطار في كوناكري وأكرا، وتتسلم وثائق مكتوبة بلغة أجنبية وأنت في طريقك إلى بلد ووظيفة لا تعرف سوى القليل، عنهما. إلا أن هؤلاء الوكلاء يختفون، وهم في الغالب يحملون أسماء مستعارة – جون أو ميري – ، فور صعود الشخص الذي يبتلع طعم الوظيفة المرتقبة، الطائرة.

يعتبر الوصول إلى سيراليون مهمة صعبة بالنسبة للقادمين من كثير الأماكن الواقعة خارج منطقة غرب أفريقيا – هناك رحلات جوية، وبحرية وباصات، جميعها وضعت تحت تصرفك لتصل اليها. ومع ذلك فإن المئات من النساء يخاطرن بحياتهم وأعضاء جسدهن – حرفيا، بالنسبة للبعض منهن – من أجل القيام بهذه الرحلة، وغالباً ما يعدن محملات بوصمة عار.

ترتدي عليمة، بدلة رياضية مخملية صفراء اللون، وحذاء أبيض لامع، شعرها مجدول حديثاً، وتضع أظافر بلاستيكية طويلة ملونة، وتضم إلى صدرها حقيبة بيضاء صغيرة مقلدة عن ماركة لمصمم معرفة، طوال رحلة طويلة تأخذها من أديس أبابا إلى أكرا ومنها إلى لونغي.

ولم تنفتح عليمة على من جنبها سوى مع اقتراب نهاية الجزء الأول من رحلتها، حينما بدت منها ابتسامة مترددة. كانت نقطة انطلاقتها دبي، وكان اليوم الذي يصادف عيد الفطر، طويلاً، وكانت حريصة للوصول إلى بلدها ليلتم شملها بابنها الفتي للاحتفال بالعيد.

كانت تنظر في داخل حقيبتها بين وقت وآخر، فيما تقوم بترتيب ضفائرها مرة تلو الأخرى بينما تنظر إلى انعكاس صورتها على شاشة هاتفها ذات الخدوش. ثم تتصفح صور في هاتفها التقطت لابنها ذو السنوات الست خلال السنوات الماضية. لقد كبر اثناء غيابها، تتنهد. تخرج جوازها من حقيبتها وتتصفحه عدة مرات. إنها حريصة على الترويج لبلدها للزائر الذي يأتي للمرة الأولى، مؤكدة أن الطعام لذيذ المذاق، وأن الشواطئ جميلة. وفي المرة التالية التي تتصفح فيها جوازها تسمح بلمحة تكشف عن وجود ثلاثة أختام، الخروج من كوناكري (غينيا) والدخول والخروج من دبي. لا يوجد ملصقات للتأشيرة. تُخرج ورقة مطوية في شكل مستطيل لتتناسب وحجم حقيبتها وتتساءل: «هذه ورقة خروجي، هل تعتقد أنني ممنوعة من العودة؟ هل سأتمكن من العودة؟»

قبل أكثر من عامين، تركت عليمة بلدها في مارس 2021 بعد أن تلقت وعداً بالحصول على وظيفة عاملة نظافة في دبي. كانت تتذكر قصتها بمحطاتها. «في دبي ضغوطات كثيرة، لم أود أن أعمل كعاملة منزل، لكنها أخبروني أن عليّ أن أدفع المال للعودة». ولذلك أخذت الأمر على عاتقتها، وهربت من مكتب التوظيف وحصلت على وظائف غريبة، حتى أصبح الوضع أصعب من أن تتحمله. تقول: «أنا مسلمة» – تعتدل في جلستها لتصبح أكثر استقامة معبرة عن اعتزازها بهذا الجانب من هويتها – وتواصل «تحملت جماعة إسلامية أنا عضوة فيها، تكاليف تذكرتي للعودة إلى بلادي. وتواصل قلقها بشأن ما تحمله وثيقة الخروج (تصريح خروج رسمي للأشخاص الذين يتجاوزون فترة تأشيرتهم) المكتوبة بلغة لا تفهمها. وتعتبر عودتها إلى بلادها محطة عبور (ترانزيت) ريثما يظهر برنامجاً جذاباً في طريقها.

«جُرحت ساقي، وبدأت بالانتفاخ، وكانت تؤلمني كثيراً. كنت أعمل بدون أن انتعل حذاءً أو البس القفازات، وأدت كل هذه المواد الكيماوية التي أستخدمها الى حدوث التهاب في ساقي كما أخبرني الطبيب فيما بعد»

قبل بضعة أشهر من عودة عليمة إلى بلاده، كانت موسو تقوم برحلة مشابهة. من دبي إلى الدوحة إلى أكرا ثم إلى فريتاون. لكنها عادة بأطراف مبتورة، ولازالت الغرز حول ركبتها اليسرى لم تلتئم بعد. ولتصل إلى منطقتها في ألين تاون، وهي منطقة مزدحمة في العاصمة فريتاون، عليها أن تترك الشارع المرصوف إلى مسار ترابي يصعب حتى على سيارات الدفع الرباعي السير فيه. وفي طريق مسدود ذو إطلالة ساحرة على شاطئ المحيط الأطلنطي يقع محل الخياطة الخاص بها. وعلى بعد خطوات من الطريق الترابي، تقع الغرفة الأمامية التي تضم ماكينتي خياطة قديمتين، من بقايا تجارتها التي كانت تزاولها قبل الذهاب إلى دبي، اهتلكتا بعد سنوات من عدم الاستخدام. توجد ستارة تفصل هذا المكان عن بقية المنزل الصغير الذي يفترض أن يضم طابقاً علوياً، إذ كانت الضوضاء تتسرب من الأعلى. كانت موسو تجلس على كرسي متحرك لايزال يحمل بطاقات عليها اسم شركة الطيران.

في 2021، تواصلت موسو، من أجل توفير حياة أفضل لأخوتها، عبر الانترنت مع وكيل يبيع برامج لدبي بسعر 3000 دولار أمريكي. كانت صديقاتها في المدرسة قد حصلن على وظائف من خلاله وأعطينها أرقام التواصل معه. «وعدني بوظيفة خياطة، مثل ما أفعل هنا، لكن عندما وصلت إلى دبي، كان ينتظرني العمل كعاملة منزل.»

ومثل جواز عليمة، كان جواز موسو يحمل أربعة أختام. الخروج والدخول إلى فريتاون (12 أبريل 2023) والدخول والخروج من دبي. أُخذت إلى دبي بتأشيرة زيارة (أسيء استخدامها مراراً للاتجار بالأشخاص وإدخالهم الإمارات للتوظيف غير القانوني)، وتورطت بدفع غرامة ضخمة بسبب تجاوزها فترة التأشيرة، ومع ذلك كانت مترددة في العودة بدون كسب بعض المال على الأقل. عملت في وظائف غريبة، وأقامت في أماكن باستئجار سرير فقط في ديره عندما كان بإمكانها تحمّل الكلفة، فيما كانت تنام في المتنزهات عندما ينقصها المال. في نوفمبر 2022، حصلت على وظيفة كعاملة تنظيف في مطعم تديره سيدة نيجيرية. «عملت هناك لمدة شهرين، وحصلت على الطعام و700 درهم شهرياً. كنت أتدبر أمري حتى جُرحت ساقي، وبدأت بالانتفاخ، وكانت تؤلمني كثيراً. كنت أعمل بدون أن انتعل حذاءً أو البس القفازات، وأدت كل هذه المواد الكيماوية التي أستخدمها الى حدوث التهاب في ساقي كما أخبرني الطبيب فيما بعد».

وعندما تفاقم التهاب الجرح، وأصبح أسوأ وتنبعث منه رائحة كريهة، طُلب منها ألا تأتي إلى العمل، إلا أنها لم تتلق الرعاية الصحية للعناية بها. تقول موسو: «كنت خائفة جدا، لأنني لم أمتلك المال في ذلك الوقت، ولم تكن لدي تأشيرة، نمت في متنزه نايف، أخبرتني مديرتي في العمل ألا أستدعي سيارة الإسعاف لأنها كانت خائفة من الوقوع في مشاكل، لكنها لم تساعدني أيضا.» وفي هذه الأثناء قامت بتشغيل رسالة صوتية لمديرتها وهي تنذرها بعدم الذهاب إلى السلطات. وتواصل: «لكن عندما استمر النزيف، قمت بالاتصال بالإسعاف. جاءوا مرتين إلى المتنزه لتضميد ساقي، وسألوني عن وثائقي للذهاب إلى المستشفى، لكن لم يكن لدي أي شيء.»

عادت موسو من دبي، مبتورة الأطراف بدون أي تعويض. كلا صاحب العمل ووكيل التوظيف، لم يساعداها في العودة إلى وطنها. إن كنت ترغب في المساعدة لإعادة تأهيلها، لطفاً، تبرع هنا مع ذكر موسو او Musu . ستستخدم العائدات في علاجها الطبيعي ولمساعدتها في إعادة تأسيس عملها كخياطة.

انتبه بعض السيراليونيين إلى محنتها، فأخذوها إلى مستشفى البراحة في أواخر يونيو. وتتذكر موسو تاريخ بتر ساقها – 3 مارس 2023 – إلى أن تسلسل بقية ما حدث لها في تلك الفترة، لم يكن واضحاً. طُلب منها دفع 6700 درهم إماراتي (1820 دولار أمريكي) للعلاج، ولكنها لم تتمكن من ذلك. «لم يكن لدي سجل أو وثائق طبية ماعدا بعض الصور من المستشفى (وهي ما كانت تعرضها في هاتفها). أخبروني أنه لا يمكن اعطائي سجلي الطبي إذا لم أدفع، لكن كان بإمكاني المغادرة. سمح لي بعض أخوتي وأخواتي السيراليونيين بالبقاء معهم، كما قام رجل أمريكي بإهدائي الكرسي المتحرك عندما اطلع على وضعي.»

ولم يتصل أحد من الشرطة للتحقيق في وضعها، سواء عندما جاءت سيارة الإسعاف لمساعدتها، أو عندما دخلت المستشفى. تمكنت فيما بعد من جمع ما يكفي من المال لشراء تذكرة السفر، وذهبت لإدارة الهجرة من أجل العودة للوطن. وتزعم أنه برغم من اتصالها بسفارة سيراليون، إلا أنها لم تمد لها يد المساعدة. وبعد حوالي شهر من بتر ساقها، وصلت موسو إلى فريتاون. كانت حركتها مقيدة بدرجة بكبيرة، بسبب افتقارها للعلاج الطبيعي من جهة، وبسبب أن بيتها غير مجهز لاستخدام الكرسي المتحرك. تنظر بإعجاب إلى ماكينة خياطتها المعتمدة على دواسة القدم، وتقول: «بإمكاني الاعتناء بنفسي، لكنني احتاج ماكينة أخرى، وليس لدي المال لذلك.» كانت موسو تتحدث بصوت خفيض، وتبدو متعبة جداً، وتتألم كثيراً إلى درجة لا يمكن سماعها. كانت أمها تجلس، باكية، على كرسي بدون مسند في زاوية الغرفة. كان شقيقها عبدول (20 عاما) قلقاً، ويغتنم أية فرصة ليشارك براية في الحديث الدائر. ولم يرتدع مما تعرضت له شقيقته، فهو لايزال يخطط للسفر، «كنت أتمنى أن أسافر للخارج أيضا، من المفترض أن تبعث شقيقتي المال من أجل برنامجي لتساعدني».

تعتقد أسماء كبارا، الصحافية الاذاعية، والمدافعة عن حقوق المرأة، بوجود درجة من العناد التي تدفع النساء والرجال للوقوع في المشاكل، فهم يسافرون برغم وجود الأدلة على الإتجار بالبشر. «إنهم يعتقدون أنهم لن يتمكنوا من النجاة من أوضاعهم إلى في بلدان أخرى. فهم يودون أن يركبوا الطائرة ويسافرون. يؤكد على هذا الاتجاه، رؤية الشابات في المطارات.»

وتقول إن كل ما يحتاجه الأمر، وجود «محتالين» هنا، ليستغلوا هذه الرغبة والطموح. «يذهبون عبر غينيا، لأنه قد يتم ايقافهم هنا. تحتفظ الفتيات بالأمر سراً. لست متأكدة إن كانت الحكومة تتخذ إجراءات كافية لإيقاف ذلك. عندما تكون هناك مشكلة، ربما، فهم فقط يتفاعلون مع المشاكل».

«إذا استطعت جلب 10 اشخاص أخرين ممن قاموا بالتسجيل لهذا البرنامج، بعدها ستدفع مبلغ أقل من هؤلاء الأشخاص.»

المخطط الهرمي

مهما كانت النية، فإن هذه البرامج تحقق أهدافها. تقول كاتي ميلازو من منظمة أمل العالم الدولية (WHI) وهي منظمة إغاثة وتنمية مسيحية تعمل مع المجتمعات الضعيفة والمستغلة، إن البرامج في أغلبها مخطط هرمي، وهناك الكثير من نقاط الضعف في النظام السياسي ما يمكن الاستفادة منه، وبعض السياسيين يستفيدون من ذلك سواء أنشأوا هذا النظام أم لا.

«هناك من يأتي إلى المدرسة الثانوية قائلاً «مرحبا، بإمكاننا أن نبعثك، كما تعرف إلى أمريكا أو إلى أي مكان آخر. ادفع الرسوم، واجلب بطاقة هويتك، وأخبرنا باسم أهلك، وعنوانك، المعلومات الأساسية'». لكن الأمر لا ينتهي هنا ويأخذ البرنامج منعطفاً جديداً عندما يقوم هؤلاء المؤجرون من قبل المتاجرون بالبشر، بإغواء النساء الشابات بشكل أعمق. «إذا استطعت جلب 10 اشخاص أخرين ممن قاموا بالتسجيل لهذا البرنامج، بعدها ستدفع مبلغ أقل من هؤلاء الأشخاص.»

يتمكن هؤلاء المشبوهون من الوصول للمدارس بإبراز بطاقات هوية والادعاء أنهم آتون من السفارة الأمريكية، أو أي من المنظمات الرسمية المحيطة. انهم يبيعون الحلم، والمغامرة الرائعة التي ستغير حياتك إلى الأفضل. لكن يتم أخذ هؤلاء الشابات والشباب إلى أماكن خارج حدود سيراليون ويُتركون هناك لإعالة أنفسهم. والآن تجاوز الأمر تركهم في مالي أو موريتانيا إلى أن وصل إلى الخليج.

تقول كاتي، إنه تم ضبط أحد العصابات قبل شهور قليلة. فقد كان رجلا من شرق أفريقيا يتحدث بلكنة وسلوك سيراليونيين مزورين، يبيع برامجاً. «قمنا بإرسال أحداً للتسجيل للبرنامج وتصوير فيديو لكل شيء، لنفعهم ما يحدث. بدأ الأمر بأنه مغامرة رائعة، سوف تتغير حياتك، سوف تذهب إلى أمريكا أو إلى دبي. كانت الفتاة (17 عاما) على وشك الدخول في كلية التمريض. لكنهم أخبروها أنها ستعمل ممرضة في دبي. وكانوا على علم أنها لم تبلغ السن القانونية. وتظاهرت امرأة أخرى بأنها والدتها. تركوها لتبقى معها بعض الوقت، ثم طلبوا منها المغادرة للمحافظة على خصوصية الآخرين، وبذلك تم فصلهما. ومع كل مرحلة من مراحل المقابلة كانت تقترب من مقابلة الشخص الرئيسي. وهكذا عرفنا أن الرجل الذي هو وراء الجرائم المنظمة، من شرق أفريقيا.»

قامت منظمة أمل العالم الدولية بأخذ هذه المعلومات إلى الحكومة، وتم ضبط العصابة. ثم واجهوا تحديا آخر. «بعد ذلك، واجهنا مشكلة التمييز بين الضحية والوسيط في هذه الحالة. ولكن في الحقيقة فإن كثير من الوسطاء هم ضحايا أيضاً. كانوا في هذا الوضع بعد أن خُيروا إما بدفع هذه الرسوم، أو أنك معنا الآن وعليك مساعدتنا في توظيف كل هؤلاء الأشخاص الآخرين.»

تقول أس آر ميريام، زميلة كاتي، إن هؤلاء الأشخاص الذين يسمون أنفسهم وكلاء، يذهبون للمجتمعات الضعيفة حيث يدير الناس أعمالاً صغيرة، لأن عليهم توفير المال للدفع. «يعتبر البرنامج وسيلة للخروج من سيراليون، فأنت لا تعرف حتى إلى أين أنت ذاهب حتى تستكمل الدفع وتصل إلى المطار». وصدمتك تكون كبيرة عندما تعرف أنك لست ذاهباً إلى كندا أو استراليا كما وُعدت وإنما إلى السعودية أو الكويت. عندها يكون قد فات أوان التراجع.

وحتى خطط مكافحة الاتجار بالبشر، تحولت، وبسرعة إلى فرص للإتجار بالبشر. على سبيل المثال، تعطي المنظمة الدولية للهجرة، مساعدات لهؤلاء الذين تعرضوا للاتجار وتام تهريبهم إلى مالي أو بلدان أخرى، للعودة إلى بلدانهم. لذلك يقوم المتاجرين بالبشر بتركهم في هذه الدول التي تقدم فيها هذه المساعدات. وفي الغالب يكنّ أمهات شابات أو أطفال. سوف يذهبن إلى هناك ويبدأن في التسول. ومن بعدها سيتجهون إلى المنظمة الدولية للهجرة للحصول على ما تقدمه لهم وهو عبارة عن 1000 دولار أمريكي، التي يذهب جزء منها إلى المُتاجر نفسه. وتقول ميريام إن المنظمة على علم بهذه الحيلة، وقامت بمحاولات للتأكد من أن المحتاجين المؤهلين فقط يحصلون على المساعدة التي يستحقونها.

وفيما يتعلق بالإتجار بالأشخاص، خصوصاً حالة السيراليونيين الذين يتم الإتجار بهم عبر البحر إلى أكرا، كما ذكرت تقارير MR سابقا تؤكد أسماء أن الفساد المنتشر بين خفر السواحل والمسئولين الآخرين هو ما يسمح بحدوث ذلك.«المجتمع لا يناقش الأمر على أنه مشكلة حقيقية. لدينا مشكلة في التصرف وليس نقص في المعلومات.»

تقول برنيسيس، زميلة إس آر ميريام وتعمل في ليبيريا، إنه لا يتم مراقبة الحدود بشكل متعمد تقريباً. وفيما يتعلق بالإتجار بالنساء من سيراليون إلى غانا، وليبيريا ومن ثم إلى الخليج، «أتعرف، هناك من المسئولين ما يقولون ‹سوف أتجاهل الأمر إن كان هناك دفع›... أعني هل من الممكن أن يكونوا في البحر لمدى 12 يوم ولا يراهم خفر السواحل؟»

وتشير ميريام إلى أن السؤال الأكبر هو من الذي يراقب مسار الإتجار هذا، وما مدى تورطهم، أو كيف يمكنهم الاستفادة من التعمد بتجاهلهم.

«عملت هناك لمدة عام، لم يدفعوا لي راتب أبدا خلالها. كما أنهم لم يعطوني الطعم المناسب والكافي، كان الأطفال يضربونني، ولم أتمكن من السيطرة عليهم. ذات يوم عضني الولد.»

نشأة الأخوة

تبقى أنماط الاستغلال متشابهة إلى حد كبير، إلا أن الحدود الجغرافية آخذه في التوسع، وذلك بحسب أحد الخبراء ممن تحدثت إليهم MR. تقول لوسي توراي، التي تعرضت هي نفسها للإتجار، وتعمل حالياً مع المجتمعات الريفية للقضاء على هذه المشكلة في مهدها، إن الشباب الضعفاء خصوصاً النساء، لا يرون مستقبلا لهم في البلد، ويعتقدون أن الذهاب إلى الخارج مهم جدا لتوفير المعيشة لعائلاتهم. وترى لوسي، التي أنشأت شبكة محلية الدفاع عن عاملات المنازل DoWAN في 2020، فور عودتها من لبنان، أحيانا نفسها كضحية، وأحيانا كناجية، لكن بغض النظر عن ذلك فهي تشكل قوة. وتوفر DoWAN التي تعني الأخوة باللغة المحلية، تيمني، مركزاً للتدريب في ماكيني للنساء من أمثالها – اللاتي يرين أنفسهن أحيانا كضحايا وأحيانا كناجيات، على حسب ما يتعرضن له خلال اليوم.

أميناتا، وهي تعمل ضمن مركز الأخوة لديها ماكينة الخياطة المفضلة لديها في مركز التدريب، في الصف الأول بالقرب من النافذة، حيث يدخل الكثير من الضوء الطبيعي. ترتدي أميناتا نظارتها فقط عندما يكون عليها أن تخيط، أو أن تركز على إدخال الخيط في الإبرة، أو تثبيت البكرة أو تبطين القماش. الملاحظ أن خنصر يدها اليسرى كان بارزا طيلة الوقت ويبدو جزء منه مفقود. في اليوم الذي روت فيه قصتها، كانت تقوم بتغيير ملابس أطفالها. أطفالها الذين ظنوا أنها ماتت عندما انقطعت عنهم أخبارها. كان ذلك مباشرة قبل تفشي داء الإيبولا في سيراليون.

أغراهم صديق زوجها واستدرجهم لبرنامج، قاموا بتمويله من خلال بيع منزلهم. وصلت إلى الكويت من خلال غينيا – أبيجان – اثيوبيا، لكنها ظلت لفترة قصيرة في البيت الذي أخذت اليه. لا تتلاشى ابتسامة أميناتا، وإنما تمهد للضحك والقهقهة، كما لو أنها تقوم بتسلية جمهور أمامها. «بابا الذي اشتراني من المكتب، باعني لامرأة في السعودية، قالها إنها أخته. كان أول ما فعله أن صادر هاتفي قائلا إنه اشتراني، وأنني كنت عبده وليس هناك حاجة للتحدث مع أطفالي. لم أكن أعرف مكاني، لكنني رأيت مصانع النفط الكبيرة قبل ذهابنا إلى المدينة التي يعيش فيها.»

كان على أميناتا القيام بجميع الأعمال المنزلية، والاعتناء بطفلين. «ولد وبنت. كلاهما مجنونان». أشارت بأصبعها إلى راسها. تقول ضاحكة وهي تهز اصبعها الخنصر، أو ما تبقى منه: «عملت هناك لمدة عام، لم يدفعوا لي راتب أبدا خلالها. كما أنهم لم يعطوني الطعم المناسب والكافي، كان الأطفال يضربونني، ولم أتمكن من السيطرة عليهم. ذات يوم عضني الولد.». وتم طردها من المنزل بأصبعها النازف وبالقطعة التي كانت تتدلى منه.

تم إنقاذها من قبل أحد المارة في الطريق، وقدم لها المساعدة الطبية. «كانت سيدة طيبة جدا ماما الكعبي، رأتني أبكي في الشارع فساعدتني. بعد ذلك، اصطحبتني إلى مزرعة في الكويت». عملت أميناتا في المزرعة إلى جانب عاملات أخريات من مدغشقر، وأثيوبيا، والفلبين. كانوا يعملون بنظام النوبات لساعات طويلة يوميا مع وجود وقت للراحة، وحصلوا على المأوى والطعام – نعم، حتى برغم انها لم تدفع راتبي، حتى وإن كانت ساعات العمل طويلة. «المرأة السعودية كانت تجوعني، لذلك كانت ماما الكعبي امرأة جيدة بالمقارنة». وتضحك بعينين لامعتين وتضيف: «اعطتني تذكرة العودة إلى بلدي، ووعدتني أن ترسل المال إلى حساب زوجي المصرفي». وبعد مرور كل هذا السنوات، لم يتم استلام هذه الأموال بعد.

كانت تذكرة أميناتا إلى مطار كوناركي، بقيت في المطار، تنام على ’الأرض الصلبة ’لمدة أسبوع، حتى ساعدها أحد مواطني بلدها في العودة إلى بلدها. «كان أطفالي يبكون عندما رأوني، ظنوا أنني ميتة، كانوا سعداء بعودتي، لكن لا سلام في البيت فزوجي يشعر بالمرارة، لقد خسر المال»

تتعلم أميناتا الخياطة الآن، وهي تأمل أن تؤسس ’تجارة ’قريبا، مثل زميلتها في مركز DoWAN كادياجو كامارا. وكانت كادياجو قد عادت من الكويت قبل تفشي الجائحة في 2020. كانت قد وُعدت بوظيفة في محل بقالة بلندن، وصدقت ذلك حتى رأت وثائقها في مطار كوناكري، مع 50 امرأة أخرى من ماكين. وانتهى بها الأمر في الكويت.

«أخذنا أحد الأشخاص من المطار، وذهبنا إلى مكتب وكيل التوظيف. في مبني أسود بالكامل. قمنا بالاستعداد، والاستحمام، وأجبرنا على لبس الزي الموحد. وتم تدريبنا على بعض الأعمال المنزلية، ومن ثم تمت مواراتنا عن الأنظار في غرفة سرية في المبنى. حتى تم بيعي...»

عملت في منزل بثلاثة طوابق، يعيش فيه 45 شخص، وكانت هي عاملة المنزل الوحيدة. قيل لها في المكتب أنها ستستلم 2 مليون ليون، لكن صاحب العمل قال لها فيما بعد أنها ستستلم 1,5 مليون ليون. «قالوا انهم لن يعطوني راتبي نقدا. قال صاحب العمل أنه سيقوم بإرساله إلى سيراليون. لم يكن لدي أي تواصل مع عائلتي لمدة عام، وأخيرا عنما تحدثت معهم قال والديّ أنهما لم يتسلما أي مال». وعندما رفضت العمل قبل أن تستلم رواتبها، تم تهديدها بحياتها، لكنها حصلت على أجر في مقابل العمل للفترة المتبقية من العقد. عندما أصيبت بمرض شديد، أعادوها إلى مكتب التوظيف، ومن هناك تم إعادتها إلى بلادها، لكن ليس قبل مصادرة مدخراتها.

تتعلم أميناتا الآن الخياطة وتأمل في إنشاء مشروعها وتعويض بعض مما فقدته بسبب هجرتها إلى الكويت

تضحك أميناتا، بروح دعابة لا تمتلكها الأخريات وهي تصف المكان بأنه ليس مكانا لتعلم المهارات فحسب، وإنما هو مكان تستطيع النساء فيه مثل أميناتا، وكادياجو، ومرياما (تم تهريبها إلى عُمان) وزينب (تم تهريبها إلى لبنان)، اللقاء من أجل التعافي، والتصالح، والتحدث عن تجربتهن بدون أن يتعرضن للنبذ أو النقد. «عندما آتي إلى هنا، أنسى ألمي.»

إن معرفة ما يحدث عندما يبدأ الشخص في برنامج، أو ينتهي به الأمر في دولة خليجية، هو أمر منتشر على نطاق واسع، فهناك ما يكفي من مقاطع الفيديو على وسائل التواصل الاجتماعي والمقابلات في الإذاعة، ومع ذلك فإن الأشخاص المرتقبين لايزالون على استعداد لتجربة الرحلة من بدايتها. إلا أن لوسي، ومرياما بوندو (ناشطة وناجية أخرى) لهما وجهة نظر أخرى. أحيانا الأمر لا يتعلق بما ممكن أن يحدث، لكن في الواقع أن يتدخل بعض الأشخاص ويقدمون بدائل، وأمل بأن تاكون الأمور مختلفة لو أنهم بقوا وذهبوا عن طريق القنوات الاعتيادية.

تقول ميريام مرددة ما أوضحته لوسي فيما بعد «هناك مستوى كبير من الفقر، لذلك فإنهم سيتمسكون حتى بأي تحسين صغير من شأنه أن يحسن وضعهم ليذهبوا». حتى 5% يعتبر أفضل مما هم عليهم هنا.

كل هذا يتحول إلى لوم للضحية من قبل المجتمع والمسئولين وكذلك من أصحاب الامتيازات. أما أولئك اللاتي يعدن ويتحدثن عما تعرضن اليهـا فيتهمن بالكسل أو الانخراط في سلك الدعارة، مما يقود النساء إلى المزيد من المخاطرة والاختباء لتفادي الوصمة.

تقول مريم عن ازدراء المسئولين لمحنة الذين تم الاتجار بهم وتهريبهم، «يقول المسئولون لماذا أنتم بهذا الغباء؟ لما تبيعون كل شيء من أجل شي أفضل قليلا؟ لذلك فهناك شعور عام بأنك أوصلت نفسك إلى هنا، ولماذا علينا مساعدتك... فأنت ركبت في الطائرة أو ركبت القارب، أو مشيت إلى هنا، أو ركبت سيارة الأجرة، لا أحد أجبرك على شي، انت اخترت أن تقوم بذلك»

وتقول إن مالا يمكن فهمه، هو أن هناك تلاعب عاطفي، فالاتجار ليس فقط دفع شخص ما إلى داخل شاحنة واختطافه. وإنما هو نظام معقد، والمسئولون ليسوا على وعي تام به. معظم من تمت مقابلتهم قالوا إن أغلب المهاجرين إلى الخليج هن من النساء اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين 19 – 35 عاما. وهن من يغادرن فور تخرجهن من الثانوية العامة، أو بعد أن يخلّفن أطفالاً ويسعين إلى للمساهمة في العبء المتزايد عليهن في إدارة الاسرة. أما الأصغر عمراً فهن من يتم إغواؤهن من خلال وسائل التواصل الاجتماعي بالحصول على حقائب من تصميم شركات عالمية، ونمط الحياة الفاخر التي يروج لها «وسطاء الاتجار بالبشر.»

«يقول المسئولون لماذا أنتم بهذا الغباء؟ لما تبيعون كل شيء من أجل شي أفضل قليلا؟ لذلك فهناك شعور عام بأنك أوصلت نفسك إلى هنا، ولماذا علينا مساعدتك... فأنت ركبت في الطائرة أو ركبت القارب، أو مشيت إلى هنا، أو ركبت سيارة الأجرة، لا أحد أجبرك على شي، انت اخترت أن تقوم بذلك»

يقول جوزيف توراي، المدير بالإنابة في الشمال، بوزارة الرعاية الاجتماعية، إنه ليس من السهل التغلب على قوة الاقناع لدى المتاجرين بالبشر. ويقول إن هؤلاء اللاتي يتم تهريبهن – ويميزهن عن هؤلاء اللاتي وافقوا على الذهاب حتى بوعود كاذبة – يتم الاتجار بهن أيضا. ومهما كان المصطلح المستخدم، فهناك زيادة في أعداد الذين يذهبون إلى الخارج دون فهم ما قد يصيبهم هناك. «في سيراليون تحديداً، من النادر جداً أن تعتمد الفتاة على نفسها مالياً، وهذا التوق للاستقلالية هو ما يستخدمه المتاجرون بالأشخاص.»

يقع مكتب جوزيف على مقربة من منطقة سوق ماكيني، وهي عبارة عن خلية نحل من الأنشطة التي لا تقتصر فقط على تجارة السلع. فهناك يتم تحديد النساء المحتملات اللاتي يتم الترويج للبرنامج لهن، كذلك تتواجد هناك الناشطات مثل لوسي وبوندو لنشر الوعي عن الاتجار بالبشر، ويعتمد المسئولون كثيرا على هؤلاء النساء ليس فقط لمعرفة آخر اتجاهات الاتجار، وإنما أيضا للتدخل في إدارة الحالات.

ويستدرك مفكراً بأن «الفقر هو أكثر الأسباب التي تتكرر وتخاطر النساء بسببه، ولكن، مع أن الفقر المدقع حقيقة، لكن السؤال هنا هو، إذا ما كنت قادرا على توفير المال للدفع للمتاجر بالبشر، فلماذا لا تستخدمه لشيء آخر هنا، كالبدء في تأسيس شركة مثلا؟»

وهو يعترف أن تجار البشر لديهم القدرة الكافية على الاقناع لبيع الحلم إلى أبعد ما يمكن أن توفره رسوم البرنامج. على مكتبه التعامل مع الضحايا الإتجار بعد عودتهم، وهناك تحديات لا تستطيع الحكومة الاستجابة لها، ولكن يتعين على منظمات مثل تلك التي تديرها لوسي وبوندو أن تتدخل. «بسبب تعرضهم للوصم والتهميش من قبل عائلاتهن، كما تعلم ومن مجتمعاتهن... فهن يحتجن للدعم. وبالنسبة لنا كوزارة، ليس لدينا الإمكانيات اللازمة للتعامل مع كل هذه التحديات. فالتمويل الذي نحصل عليه من الحكومة الوطنية قليل جدا، ولا يأتي بانتظام. وفي الوقت الحاضر، ليس لدينا العديد من الشركاء للعمل على الاتجار بالبشر.»

«قبل الحرب لم يذهبن إلى أي مكان، وخلال الحرب كن يذهبن فقط إلى دول المنطقة، أما الآن فأصبحن يذهبن إلى أماكن بعيدة ... أنهم لا يرون أملاً هنا»

يأس جيل ما بعد الحرب

تعيش جانيت نيكل وهي عضوة أخرى في فريق WHI، وتعمل في سيراليون منذ نهاية الحرب قبل عقدين من الزمان. وتقول إن السيراليونيين شديدي الثقة بالآخرين، لدرجة أنهم يحفظون أموالهم لدى آخرين بدون ضمانات، وربما يفسر ذلك الخداع المتفشي باسم العمل والفرص. وتضيف أن هناك ممارسة طويلة الأمد للبنانيين الميسورين المغتربين فيها، بتوظيف سيراليونيين للعمل لأسرهم وأصدقائهم في لبنان. «الاتفاق هو أن تأخذ ابنتي للعمل في لبنان وتعطيني في المقابل كيساً من الرز. وحتى هنا، فإن الموظفين اللبنانيين يعاملون العمال المحليين معاملة سيئة. البعض، يقوم أيضا بتوظيفهم في شركاتهم في مناطق أخرى في العالم العربي.»

تتذكر لوسي حالة أخرى لمقيم لبناني في فريتاون، يأخذ، مراراً، سيراليونيات إلى الخارج، وتوفيت أحدهم مؤخراً، ولم يتخذ أي إجراء حيال هذا الشخص. «هذه القصة سيئة جداً... كيف ماتت الفتاة. لقد اصطحبوها للعمل هناك، وبعد شهرين، مرضت، ثم اكتشفوا أنهم لا يقدمون لها الطعام، لا يقدمون أي شي لها، وعندما قال الزوج انكم لا تقدمون لها الطعام، أجابوا بأن منزلهم ليس مطعماً! كانوا يعطونها شريحة واحدة فقط من الخبز في اليوم. كما طلبوا من الزوج إرسال الدواء لها. كان لديهم نفوذ وسلطة، أما نحن فلا نمتلك المال لنعين محام. وإذا ما ذهبنا إلى الشرطة، فنحن لا نملك المال، وهم يملكونه، فالشرطة سيستمعون لهم. وتواصل السيدة اللبنانية أخذ الفتيات من هنا، تواصل الاتجار بهن.»

تروى جانيت حادثة وقعت مؤخراً لابنة مدبرة منزلها ذات الـ 22 عاماً. «انهت دراستها وحصلت على شهادة التسويق، ورغبت في الذهاب إلى الخارج. استصدرت جواز سفرها، واستكملت الفحص الطبي، وكانت بانتظار الحصول على التذكرة. كان مقيماً لبنانياً يقيم في فريتاون، يقوم بتوظيف ممرضات، ومضيفات مطاعم في قطر. لم يكن لديها خبرة في ذلك، لكن مع ذلك عرضت عليها الوظيفة. وعندما ذهبن لإجراء المقابلات معهن، أُخذت واحدة منهن وكانت ترتدي الحجاب على انفراد وقيل لها أن ليس هذا ما تفعله الفتيات المسلمات، ونُصحت بعدم الذهاب. وكان ذلك بمثابة إشارة لها، فهمتها والغت خطتها. قبل الحرب لم يذهبن إلى أي مكان، وخلال الحرب كن يذهبن فقط إلى دول المنطقة، أما الآن فأصبحن يذهبن إلى أماكن بعيدة ... أنهم لا يرون أملاً هنا.»

وبحسب ماكمد كمارا ، المدير السابق لصندوق تراث العدالة الانتقالية الافريقية ATJLF ، فإن «جيل ما بعد الحرب هو الجيل الذي تم التخلي عنه. ويتجلى ذلك في عدد من الطرق. عدم ادخالهم في السياسات الحكومية المتعاقبة/ وفي التنمية الاجتماعية الاقتصادية، والوطنية. فالكثير من هؤلاء الشباب يشعرون أنهم منفصلون ومستبعدون». ويقول إنه في الوقت الذي يكونون فيها في أكرا يُستثمر المواطن السيراليوني بشكل وثيق في القضايا الواقعية. يدعو الشعار السائد لمرحلة ما بعد الحرب إلى التسامح والنسيان، إلا أن هذا الشعار تمت ترجمته إلى نسيان الحرب.

«يبدو أننا نسينا عمدا أو لا شعوريا الجيل الذي خرج من الحرب. فآبائهم جربوا الحرب بشكل مختلف. لكن إذا لم تنظر خلفك وتتأمل ما حدث فلن تستطيع المضي إلى الأمام. معظم الناس لا يعرفون الضرر الذي أصاب نسيج المجتمع. فهذا الشعار (سامح وانسَ) جيد، لكن له

في الحقيقة نتائج عكسية في بعض الأحيان – فنسيان الجذور يؤدي إلى نسيان هؤلاء الذين خرجوا من الصراع، ونسيان كيفية منعهم من التراجع أو العودة إلى الحرب.»

يتحتم على جيل ما بعد الحرب التعامل مع ما هو أكثر من الفقر أو قلة الفرص. ويخشى ماكميد ألا يكون ذلك سوى البداية. «نحن من خلال الصندوق ATJLF عملنا مع مبتوري الأطراف بسبب الحرب، ممن دفعوا إلى التسول. ربما يكونون قد تسلموا بعض التعويضات المادية، لكن ليس هذا ما كانوا يريدونه. فهم يريدون لأبنائهم أن يروا مستقبل مختلف وأن يتم دعمهم. لكن يبدو أن الحكومات المتعاقبة قد نسيت أمرهم، وربما يشعرون أنهم حصلوا على تعويضات وعليهم المضي قدماً. كما أن المنسيين من قبل المجتمع يشكلون أهدافاً جاهزة للمتاجرين بالبشر والمهربين، وهناك تأثيرات متزايدة من قبل الجهاديين أيضا في منطقة غرب أفريقيا بما في ذلك سيراليون. في هذه اللحظة نحن نتحدث في الوقت الحالي عن الإتجار بالبشر.»

«هناك استياء وسوء تواصل كبيرين. فالجيل الشاب لا يشعر بفوائد الديمقراطية، كما أن هناك لامبالاة تجاه السياسة وعمليات التنمية. فهم لا يعتقدون أن البيئة المحيطة مواتية لتحقيق أحلامهم، ويفضلون البحث عن الإحساس الفوري بالرضا الذي يوفره لهم السفر إلى الخارج.»

«يتوجب على الحكومات أن تذهب إلى ما هو أبعد من الخطابات، فالتفاعل مع الشباب خصوصاً النساء هو احتياج الساعة. الحكومة الجديدة شابة ومتنوعة ولابد أنهم يفهمون ذلك مما يشكل فرصة لهم. نود أن نراهم يحولون الفهم إلى أفعال.»

«يبدو أننا نسينا عمدا أو لا شعوريا الجيل الذي خرج من الحرب. فآبائهم جربوا الحرب بشكل مختلف. لكن إذا لم تنظر خلفك وتتأمل ما حدث فلن تستطيع المضي إلى الأمام. معظم الناس لا يعرفون الضرر الذي أصاب نسيج المجتمع.»

يشعر القس سيديكي الذي يدير مأوى متعدد الاستخدامات ومكون من ثلاثة طوابق، بافتقار البلد للتوعية والاستباقية في الأمور. «مثل الملاريا نعالج المرض بالأدوية لكننا لا نتجنب الإصابة والعدوى بالمرض. الأمر نفسه مع الإتجار. نحن بحاجة لاستخدام التلفزيون والإذاعة بشكل أفضل، نستفيد من الناجين والعائدين ليحكوا لنا قصصهم.» يستقبل القس في المأوى الذي تصطف فيه غرفاً بطول شرفة ضيقة، فيما يسكن وعائلته في الطابق الثاني منه، العائدات، وأغلبهن من عُمان. «هناك من مارس الضغط عليهن ممن هو مقيم في عُمان ويقوم بأعمال سرية. عندما وردتنا حالات كثيرة، قررت أن أجر المكان هنا لتوفير مأوى لهن. لقد استقبلنا 110 امرأة على مدى عامين، وقدمنا لهم استشارات نفسية بشأن الصدمات.»

يشعر القس أنه ربما كنّ يأملن أن تكون عُمان مجرد محطة عبور، وذهبن إلى هناك، فرغبتهن ليست كذلك. وتتراوح أعمار العائدات من عمان مابين 20 و24 عاما. يقول إن العديد من النساء اللاتي تمت المتاجرة بهن، لديهن آباء خسروا أملاكهم اثناء الحرب، ولايزالون يعانون من الصدمة بسبب ذلك. لذلك فالأبناء يحاولون تقديم التعويض لهم بكسب المال. «الوكلاء يبيعون مقصد (دول) أكثر منه وظائف. وآخرها دبي!، فهم لديهم الآن برنامج إلى تركيا، ويفكرون أنهم يستطيعون الذهاب إلى تركيا ومنه ينتقلون إلى ألمانيا/أوروبا.»

يرى القس أيضا، أن توقيع الاتفاقية الثنائية بين سيراليون والسعودية قد تجعل الأمور أفضل. وتتفق معه بوندو بأنها قد تكون مفيدة في نهاية الأمر، لكن حتى تدخل حيز التنفيذ فلن تكون سوى أداة أخرى في يد المتاجرين الذين يتصدون لعمل الناشطين. «هم يقولون، أنظروا، الحكومة تريد لكم الذهاب إلى الخارج، ولذلك لا توجد مشكلة في برنامجنا.»

يقول سيديكي «هناك شبكة قوية من الوكلاء – حوالي 300 إلى 400 منهم، لكن من الصعب تتبعهم، وفي المعدل هم يطلبون نحو 1300 دولار أمريكي. من تجربتي، أن 2% فقط من النساء اللاتي يرسلوهن إلى الخارج يتمكّن من الحصول على عمل لائق. أما اللاتي يخجلن من العودة، فهن يبقين حتى يتجاوزن مدة التأشيرة ولا يستطعن دفع الرسوم والغرامات التي تتراكم؛ فهن لم يعدن يعملن لكفيلهن وبالتالي يسلكن طريق الدعارة.». وبالنسبة للادعاء الأخير، فهو لا يمكن دليل قاطع، لكنه يقول إن هذا ما يراه ويسمعه.

ويقول منتقدا بشكل خاص الجمعيات السرية لسيراليون (أنظر الشريط الجانبي) «لا أحد يتناول هذا الموضوع ويتحدث عنه. ولذلك ليس فقط أن الشابات تتم المتاجرة بهن، وإنما عندما يعدن تلاحقهن وصمة كبيرة وتبقى معهن.»، لذلك عندما ترغب العائدات في الرجوع إلى بيتهن، فهن يفعلن ذلك في جنح الليل كي لا يراهن الجيران وهن عائدات بقصص خائبة. كما أن هناك من يخترن الحديث وإطلاع الآخرين عما تعرضن له من محنة، مثيرين ضجة في وجه النبذ والتهديد، مثل ماريما، وبوندو ولوسي توراي.

قوة الجمعيات

تعتبر الجمعيات السرية للنساء والرجال على التوالي، مراكز للقوة في سيراليون، وعلى من يطمح لأي نوع من أنواع التأثير السياسي أو الاجتماعي- الاقتصادي، البدء من هذه الجمعيات. فأعضائها يمارسون القوة السياسية، وهم مسئولون عن القرارات التي تؤثر على البلد ككل. تتميز جمعية بورو بينهما في القوة وهي تلعب دورا في فرض الأعراف الاجتماعية، وكذلك في التنشئة الاجتماعية من خلال تأسيس المدارس.

سياسة هجرة العمالة في سيراليون 2022

تدرك سياسة هجرة العمالة 2022 أن هناك قلقاً كبيرا حول «وكلاء التوظيف شبه القانونين أو المجرمين بشكل صريح، المرتبطين غالباً بشبكات التهريب والاتجار بالبشر.» وتنص السياسة على أن الوكالات غير القانونية تأخذ العمال إلى آسيا من خلال وسائل احتيال، وتتركهم عالقين في الشرق الأوسط. «وتشمل المخاطر والأضرار المرتبطة بالتوظيف من خلال وكالات خاصة وشبكات غير رسمية، دفع رسوم باهظة، عبودية الدين، استصدار تأشيرات مزورة، مصادرة وثائق السفر، وعدم الأمانة فيما يتعلق بطبيعة وظروف الوظائف الاضافة إلى العقود غير الآمنة والاتجار بالأشخاص.»

كذلك تعترف السياسة بعدم قدرة الدولة على تنظيم عمل الوكالات، الأمر الذي يترك مواطنيها في «وضع هش إلى حد كبير.»

تشمل التقييمات الرسمية الأخرى ما يلي:

- أظهر البحث أنه عندما تكون القنوات للهجرة القانونية محدودة، يميل العمال للاعتماد على شركات التوظيف غير الشرعية من خلال شبكاتهم الاجتماعية.

- هناك ما يكفي من الأدلة على انتهاك حقوق بعض المهاجرين السيراليونيين والمهاجرين المحتملين، من قبل وكلاء التوظيف وأصحاب العمل. ويواجه العمال المهاجرون من سيراليون تحديات مختلفة في مراحل متعددة من رحلة الهجرة، منها ما قبل المغادرة (منذ اتخاذ القرار حتى التحضير للهجرة)، وخلال فترة الخدمة (أثناء العمل في بلد المقصد)، والعودة والاندماج من جديد في المجتمع. ونتيجة لنقص المعلومات الموثوقة حول الهجرة للتوظيف، فإن بعض المهاجرين منخفضي المهارة يتخذون قرار الهجرة دون النظر إلى اثاره السلبية على المصالح الشخصية والعائلية. كذلك فإن المهاجرين والمهاجرين المحتملين يتعرضون للاستغلال والانتهاك خلال عملية التوظيف الذي عادة ما يتم من خلال وكالات التوظيف الخاصة والشبكات غير الرسمية.

ويبلغ إجمالي التحويلات المالية السنوية إلى سيراليون حوالي 168 مليون دولار أمريكي، ما يعادل 12% من الناتج المحلي الإجمالي. لذلك فإن الحجم الحقيقي للتحويلات المالية بما في ذلك التدفقات من خلال القنوات الرسمية وغير الرسمية إلى سيراليون، يعتبر كبيراً.

الجزء الثاني، قصص من المنشأ، سيراليون

بعد الإساءات المبرحة، السيراليونيات يشهرن أسلحتهن

الصدمات الكهربائية والجوع يشعلان نشاط ضحايا الاتجار بالبشر

عندما يستمعن إليك، فهذا لا يعني أنهن يثقن بك. حتى أولئك العائدات اللاتي يتحدثن عن بعض ما مررن به أثناء رحلة الاتجار بهن، يقلقن من نوايا المستمع لهن. ومع ذلك فهن يبقين ويتحدثن، وبعد مرور أشهر يبدأن بناء جسور من الثقة مع بعض مواطنيهم ويرون أنفسهم حافزاً للتغيير – وأنهن من سيمنعن تكرار ما حدث لهن أن يحدث لأخريات. تعمل مرياما بوندو مع أولئك اللاتي تمت المتاجرة بهن، وتساعهن على الانتقال من الصدمة إلى الثقة ومن ثم إلى المناصرة.

يقع مكتب بوندو الذي تستخدمه أيضا كمكان لمعيشتها، على حدود مدينة كامبيا، الواقعة على مقربة من غينيا. وفي حين تتخذ منظمتها نساء وفتيات ضد الهجرة غير النظامية (WAG-CAIM), موقعاً استراتيجياً، إلا أن المنطقة تحمل ذكريات بعيدة عن مرحلة أبسط وأكثر أملاً في حياتها. بجوار المكتب يقع فندق ماريا على ضفاف نهر كولينتي. عملت بوندو كمديرة في الفندق لسنوات عدة حتى تم إغراؤها

بالالتحاق ببرنامج – عرض لوظيفة في استراليا.

مرياما بوندو خارج مكتبها

في اليوم الذي أجرت فيه المقابلة، كان هناك نشاطات كثيرة حول مكتبها. تشارك بوندو وفريقها في نشر الوعي فيما يتعلق بالديمقراطية والانتخابات بينما تستعد البلاد لخوض انتخاباتها العامة. كانت تتجول، وتصدر تعليماتها، ومقترحاتها هنا وهناك قبل أن تأخذ مكانها للتحدث عن رحلتها إلى الكويت. تم إخلاء الغرفة دون أن تطلب هي ذلك، وبدأت الدموع تنهمر بدون توقف – ومع كل سطر تنطقه تأخذ الدموع طابعاً أخر. غضب، إحباط، هم، خوف... لكنها لا تهتم في أي جزء من حديثها بإثارة الشفقة على وضعها. عانت من صنوف المتاعب من اتجار، واستغلال في العمل، والسجن، والوصف بالجنون، ففي خلال 5 سنوات تعرضت لأكثر مما قد يتعرض له البعض في حياته كلها.

في العام 2015، تمكنت من جمع 1500 دولار أمريكي للحصول على وظيفة في استراليا. لكن عندما وصلت إلى المطار في كوناكري بغينيا، أعطيت وثائق مكتوبة بلغة لم تفهمها. كانت متوجهة إلى الكويت، وليس لديها خيار سوى المضي في ذلك.

عندما حطت الطائرة في الكويت، أُخذ منها جواز السفر وجميع أغراضها بما في ذلك هاتفها. أُلحقت بعمل يختلف عما كان الاتفاق عليه، وأُجبرت على النوم في الحمام. «عندما طلبت منهم إعادة جواز سفري، أخبروني أنهم اشتروني وأن عليّ فقط أن أعمل.» هربت بوندو، لكن وكالة التوظيف «باعتها إلى منزل تلو الآخر»، كما تقول. بعد انتهاء أربعة شهور من العمل في منازل مختلفة دون أن تحصل على أجرها مطلقاً، أجرت محاولة أخيرة للهرب. «كان أخ المدام جندي، وهددني بمسدس واراد اغتصابي، تركت كل شي وركضت، حتى نجحت في الوصول إلى المأوى الحكومي.»

تقول إن المأوى الذي تديره الهيئة العامة للقوى العاملة في منطقة جليب الشيوخ، بمثابة محطة استراحة قصيرة وصفتها بأنها 'امتياز'. حصلت بوندو فيه على الطعام، وعلى مكان للنوم. «لكن لم يفرج عني. كنت عالقة هناك، ولذلك بدأت دفاعي من الداخل. استعرت هاتف أحد الأشخاص هناك وبدأت أتواصل مع محطة الإذاعة في سيراليون وأخبرتهم عن محنتنا أنا وأخواتي في الكويت، وطالبت الحكومة بمساعدتنا. كان عددنا أكثر من 200 في نهاية 2015 وبداية 2016.»

ومع كل سطر تنطقه تأخذ الدموع طابعاً أخر. غضب، إحباط، هم، خوف… لكنها لا تهتم في أي جزء من حديثها بإثارة الشفقة على وضعها. عانت من صنوف المتاعب من اتجار، واستغلال في العمل، والسجن، والوصف بالجنون، ففي خلال 5 سنوات تعرضت لأكثر مما قد يتعرض له البعض في حياته كلها.

اليد الثقيلة لتنفيذ القانون في الكويت

أدى لفتها الانتباه إلى نفسها ووضعها إلى عواقب وخيمة. «تم أخذي من المأوى وإيداعي في السجن. لم أعرف حتى ما هو الخطأ الذي ارتكبته. أخبروني فقط أنني ارتكبت جريمة. أي جريمة؟ لم يكن لديهم إجابة على سؤالي. زارني مسئول السفارة مرة واحدة فقط. ومرة واحدة أيضا كان هناك جلسة في المحكمة.»

في سرد تجربتها في السجن تسترجع أسوأ مرحلة في حياتها، لكنها ترفض إنهاء المقابلة. «لم يكن هناك طعام، ولا ماء، عندما أنزف من الدورة، أُتركها تتدفق وبعدها يتم معاقبتي على الآثار التي يخلفها ذلك. كما نجبر على العمل، نغسل السيارات، حتى من أجل شرب الماء. أسوأ مافي الأمر أنهم كانوا يصعقونا بالكهرباء.»

تقول بوندو إنه تم نقلها مابين ثمانية سجون في مواقع مختلفة وفي اثنين منها تلقت الصدمات الكهربائية. «كان هناك جدار نجبر على لمسه، وعندما نفعل كنا نتلقى موجات الصعق في جسدنا كله. كان هذا عقابنا على البكاء والصراخ. هذه كانت طريقتهم للسيطرة علينا.»

في هذه السجون المكتظة حيث توضع 50 امرأة في غرفة صغيرة، كانت هناك نساء من اثيوبيا، والفلبين، وغانا، والهند والكثير من الجنسيات، وغالبتهن لا يعرفن سبب سجنهن، وأُخبرن فقط أن «لديك جريمة، ابق هنا، ومت هنا».

وتكرر أن المأوى، حيث قضت أول عدة شهور بعد هروبها من مكان عملها كان عبارة عن «امتياز». تتذكر بوندو قصتها بدون تسلسل زمني، وغالبا ما تربط مشاعر وتجربة معينة بمراحل من محنتها. «في الكويت، سترى أشخاص مختلفين، جالسين هناك ويبكون» – تقصد بـ 'هناك 'قاعة الوصول والمغادرة في المطار، الشوارع، المأوى، السجون، مكاتب التوظيف. أمضت نصف السنوات الثلاث التي قضتها في الكويت في سجون مختلفة، وستة شهور أخرى في المأوى، أما أطول فترة إقامة فقضتها في مركز التوقيف لمدة ثمانية أشهر. كل ذلك بسبب الإساءة التي تحملتها خلال الشهور الأولي التي عملت خلالها ولم تحصل على العدالة عندما بحثت عنها.

حملت بوندو غضبها وسخطها معها إلى سيراليون، كوقود يؤجج ما عزمت عليه. «بدأت دفاعي في مطار لونغي. كنت خائفة من العودة إلى الوطن، لكنني كنت أرى فتيات يذهبن من هناك. كنت أقول للجميع 'لا تذهبن للخليج 'واعتقد الناس أنني مجنونة. لكن نحن أخوات ولدينا المعاناة نفسها. لا أستطيع الاستسلام.»

الآن، بعد مرور سنوات قليلة، أصبحت مناصرتها أكثر استراتيجية وأفضل تخطيطاً. تذهب مع فريقها إلى المدارس وإلى الأسواق في مدن مختلفة، تخبر الناس عن تجربتها، وتوعّي النساء الشابات. تتشارك القواسم المشتركة والتضامن مع لوسي.»

تشير إلى اتجاه الشمال في مكتبها قائلة «من السهل أن تعبر الحدود الغينية، وهي على بعد 10- 15 دقيقة من هنا، لكن الصعب هو ايقافهن خصوصاً عند الحدود عندما تكنّ قريبات من وقت المغادرة. لذلك تعلمت أن أتحدث معهن بطريقة منطقية.»

كل يوم تفتح بوندو جرحها النازف الذي لا يندمل أبداً، بأن تترك نفسها لضعفها وتشارك تجربتها من أجل أن تبطل بعض دورات الاستغلال. «يستخدم المتاجرون بالبشر الدراجات، وتجلس النساء وراءهم. تلبسن ملابس محلية وليس كأنهن على أهبة المغادرة... من سيعرف أنهم يتاجرون بكِ؟»

نقطة اللاعودة. بمجرد أن يعبر ضحايا الاتجار هذه النقطة، لن يكون هناك الكثير مما يمكن للمسؤولين والناشطين المحليين عمله

تتدخل في هذه اللحظة. «سأتصل بأختي – ‹تعالي، إلى أين أنتِ ذاهبة؟ ›ومن هنا يبدأ الحديث.» لكن ذلك يضع بوندو في مرمى تجار البشر. «ذات مرة اقتحموا مكتبي ودمروا كل شيء. عندما كنت في السوق آخر مرة سمعتهم يستفسرون عني، ومن أنا.»

بحسب لوسي وبوندو فالفساد منتشر، وبعض المسئولين عن إنفاذ القوانين في الغالب تحت سيطرة المتاجرين بالبشر، ليتظاهروا بالجهل في الوقت الذي يبدو واضحاً أن النساء يتعرضن للمتجرة بهن. ولإثبات ذلك هناك نقاط تفتيش كل كيلومتر، والشرطة لا يكترثون حتى بإخفاء طلبهم المال (رشوة) من المتاجرين لتمريرهم.

«كان هناك جدار نجبر على لمسه، وعندما نفعل كنا نتلقى موجات الصعق في جسدنا كله. كان هذا عقابنا على البكاء والصراخ. هذه كانت طريقتهم للسيطرة علينا.»

تتفهم بوندو الإحباط الذي يصيب العائدات، وقد تعرضن للضرب والخيبة، وأصبحن أكثر فقراً مما كنّ عليه في السابق. ولأن ليس لديهن مهنة أو دعم لكسب معيشتهن، فهن عرضة للانسياق وراء برنامج آخر، إلى هجرة أخرى غير مدروسة.

على سبيل المثال، يوجد في DoWAN نحو 100 امرأة – من ضحايا الإتجار – استفدن من هذه المرافق ولايزلن كذلك. هذه النساء هن من يروين القصص الآن ويوعين أقرانهن، ويكافحن بنشاط، الاتجار بالبشر. ولتحويل قصة الفقر واليأس إلى أخرى من القدرة على التحمل والتعافي. لكنها ليست ممارسة مضمونة.

تقول لوسي توراي «عملت معنا جينيفر على توعية الناس، لكنها نفسها وقعت في الفخ وانتهي بها الأمر في عمان. بدأت تتصل بي، وتريد العودة. كانت محظوظة وتمكنا من ذلك، لكنه من الصعب جداً إعادتهم من هناك.»

أمضت لوسي 18 شهراً في لبنان، وعادت إلى سيراليون في منتصف 2020، وخلال السنوات الخمس الأخيرة عملت بما يعادل ما يمكن أن تفعله في عمرها كله. تتحدث لوسي بسرعة مرتبكة، تتعثر الكلمات في بعضها كلما أرادت أن تتحدث عن المزيد مما مرت به في تجربتها، وعن النساء اللاتي عملت معهن.

تعتبر لوسي هي المتعلمة الوحيدة في عائلتها، وعملت كمعلمة. اتصل بها أحد المهربين من خلال عمتها وعرض عليها وظيفة مربية لدى عائلة في لبنان براتب قدره 500 دولار أمريكي في البداية على أن يُرفع إلى 1000 دولار فيما بعد. «كان ذلك المبلغ كبيراً بالنسبة لنا. كنت متحمسة جدا، جدا. كان عمر ابنى 3 سنوات، وابنتي لم تتجاوز الثلاثة شهور من عمرها. تركتها مع عمتي هنا. كان لدى زوجي وظيفة في ذلك الوقت فتمكنّا من توفير 400 دولار أمريكي دفعناها للرجل.»

كانت عملية هجرتها بكاملها، سلسة – بل سلسة جدا، كما تتذكر.

«حسنا، هناك تواصل بين الشرطة وإدارة الهجرة لأنه عندما تذهب لاستلام الجواز، من المفترض أن يقوموا بإجراء مقابلة معك، لكن، وبسبب أن لهم (المتاجرون بالبشر) اشخاص يعملون لصالحهم في إدارة الهجرة، فهم فقط يتصلون بهم ويخبرونهم بمجيء هذه المرأة وأنها 'مسافرة من طرفي'. والشيء نفسه يتكرر في كل خطوة. للفحص الطبي، ترخيص السفر، عند الحدود، كل ما علي المتاجرين هو القول أنها 'مسافرة من طرفي'، ويحصل المسئولون على عمولتهم في مقابل ذلك. والأمر نفسه يتكرر مع الشرطة. الجميع متورط في عملية الإتجار بالبشر.»

محنة لوسي في لبنان مشابهة لما تمر به الآلاف في كل المنطقة. كانت الطريقة التي تصرفت بها حيال ما مرت به قد غير حياتها وحياة كثيرين غيرها. «توفيت العمة، وحطمني ذلك. كان عليّ العودة إلى بلدي من أجل طفلتي. لكن لم يسمح لي بذلك. ومن هنا بدأت معركتي.» إن قصة لوسي الناشطة في لبنان انتشرت على نطاق واسع، بما في ذلك رفضها الصريح للقنصل العام السيراليوني في بيروت التي لم يكن له دور فعال كمسئول، وكذلك الحملة التي نظمتها من أجل إعادة مواطنيها إلى وطنهم، وإدارتها لمأوى، بالإضافة إلى الأغنية التي كتبتها ولفتت بغنائها أنظار الكثيرين بمن فيهم رئيس بلادها. وخلال زيارته إلى لبنان، تمكنت لوسي من كسب لقاء معه ودعت إلى إعادة نحو 200 امرأة عالقة خلال فترة ذروة تفشي الجائحة.

عندما صدرت أغنيتها، بفضل مساعدة صحفي فرنسي أصبح الآن صديقا مقربا لها، بدأت التبرعات تتدفق عليها. «مع الكثير من لفت الانتباه جاء الكثير من التبرعات. أنا فقيرة في بلدي. لكني أرى أننا يجب أن نستخدم هذا المال من أجل إنشاء بيت نخصصه للاهتمام بالأخرين لأنني أعرف ماذا يعني أن تكون في الشارع (بدون مأوى). قضيت أربعة أيام في الشارع عندما كان البرد قارساً في لبنان. أعتقد أنني كنت سأفقد حياتي. يجب ألا أقول شيئا عن حياة الشارع لأنني في كل مرة أتذكر الأمر سأشعر بالألم الشديد.» تسرد لوسي كل شي

بصيغة الفعل الحاضر (المضارع)، كما لو أنه يحدث الآن، وعلى عكس بوندو التي تعبّر دموعها عن مشاعر كثيفة، فإن حزن وهمّ لوسي يظهر في لمعة تكسو عينيها، وكأنها تنأى بنفسها عن الذكريات التي تطوف في راسها.

كان المأوى المؤقت الذي تشكل في لبنان بذرة لمأوى DoWAN الذي أنشئ فيما بعد في سيراليون. على جانب الطريق السريع ماكيني، يقع مبنى متواضع به أربع غرف بمساحات مختلفة. ومطبخ يعمل بالحطب في المبنى الخارجي. هذا هو المركز الذي يوفر مكاناً آمناً للكثير من النساء من ضحايا الاتجار والناجيات – والانتقال بين مرحلتي الضحية والناجية نادرا ما يكون في خطوات محددة أو مباشرة. غالباً ما يتم تعريف أولئك اللاتي يتعرضن للاتجار على أنه البعض يكنّ في مرحلة التعافي، والبعض الآخر يصاب بالتبلّد جراء الصدمة، أما من يتعافون بشكل جيد فيتجهون لتوعية أقرانهن. إن كسب ثقة الضحايا والناجيات ليس سهلاً، لأنهن تعرضن للخيبة من قبل أقرب الناس لهن. كما أن العمل مع الرجال أكثر صعوبة. «أنهن لا يطلبن المساعدة. فرد الفعل لديهن يظهر في تعاطي المخدرات مثل إدمان الكحول والمخدرات أو أي شيء آخر، أو استخدام العنف مع شركائهم الحميمين. هنا في سيراليون، لو ذهبت لمعالج وشرحت له الأمر طلبا للمساعدة قد يقول عنك أفراد عائلتك أنك مجنون. وهذه وصمة عار كبيرة جدا، جدا، والآن حتى وإن كنت تقول شيئاً مهما فلن يستمعوا اليك. لن أقول إنني ذاهبة إلى جلسة للصحة العقلية وإنما عوضا عن ذلك، سأقول أنني ذاهبة إلى اجتماع...»

يقدم المركز تدريبات على كثير من المهارات – الحاسوب، الطبخ، الخياطة، جدل الشعر، والأهم من ذلك أنه يقدم المساعدة لأولئك اللاتي لازلن تحت تأثير الصدمة مما تعرضن له في الخارج. وبرغم أن كل هذا يمثل رؤية لوسي، إلا أن مشروعها الشغوفة به هو أن يكون لديها مزرعة. فهو بالنسبة لها علاج ومكاناً تهرب اليه. لدى لوسي (33 عاماً) التي أصبحت أمّا للكبير والصغير، مستوى عالٍ من الطاقة. فهي في لحظة تتفقد أطفالها في عمر المدارس الابتدائية، وفي اللحظة التالية تتفقد المؤن المخصصة لعدد لا يحصى ممن يمرون بالمركز، الذي لم يعد فقط مكاناً للعائدات وإنما لأولئك الذين يبحثون عن شذرة من الأمل وليس لديهم من يلجأون اليه.

تعاني لوسي من التعرض لما يهيج استعادة ما مرت به، لقد بدأت مساعدة الناس في الوقت الذي لم تشفَ فيه تماما من صدمتها. «أنت تستمع لخمس قصص من خمس نساء، لكن لكل منهن، هذه هي قصتها الوحيدة. فأعاني خمس مرات مما يهيج ذكرياتي. لذلك أحب العمل في المزرعة. فهو المكان الذي أهرب اليه، أدرك أنني ما زلت ضحية...»

لوسي تتحدث عن الأرض وعن انتاج المحاصيل المختلفة

تدرك لوسي كضحية/ناجية، سبب تفشي الاتجار بالبشر، لكنها لاتزال ترى فرصاً موجودة للعمل والاستدامة. «بعد الحرب مباشرة، لم تكن هناك آلية لإعادة المتضررات، وتوفير العلاج، ولا يزال هذا واضحاً في المجتمع حتى الآن.»

وتشعر لوسي بذكائها الواضح في ملاحظاتها، أن تسهيل الحصول على التعليم، وطرق التعامل مع الجوع، من شأنه أن يقطع شوطا طويلا للوصول إلى جذور مشكلة الاتجار بالبشر.

تتخذ لوسي قرية مابري – غير البعيدة عن مركزها وبيتها في ماكيني – كحالة للدراسة. «لا توجد مدارس في القرية. وعلى الأطفال أن يمشوا مسافة 10 كيلومترات للذهاب للمدرسة و10 كيلومترات أخرى للعودة على الطريق الرئيسي. لذلك فإن الصغار لا يذهبون إلى المدارس، وعندما يكبرون بما يكفي للاعتماد على أنفسهم في الذهاب إلى المدرسة، يصبحون قد تخلفوا عن الركب بشكل لا يمكن إصلاحه.» أما العائلات التي لاتزال ترغب في تعليم أبنائها، فتقوم بإرسالهم إلى أقاربهم المقيمين في مدن ومناطق أخرى، لتلقي تعليمهم هناك. وهو المكان الذي يصبح فيه الأطفال عرضة للاتجار بهم، إذ يُدفع الأطفال للتسول بعد أن يتم تعريضهم للإصابة بإعاقات، وكذلك لعمالة الأطفال. وتقول لوسي، أنه في الغالب لا يعرف الأهل الذين تحملوا كلفة إرسال أبنائهم إلى أقربائهم ما يوجهه الأبناء هناك.

«وحتى إن علموا بالأمر فإنهم لا يقومون بأي تصرف حياله. هناك أيضا تعدد الزوجات، فالرجال لديهم 5-6 زوجات، والكثير من الأطفال الذين لا سبيل للاهتمام بهم جميعهم. البعض ينجبن 15 طفل، 10 أطفال، 12 طفل ... لذلك فالمسئولية أكبر من القدرة على توفير الاهتمام لهم. فلو هرب الأطفال من هؤلاء الذين يسيئون التعامل معهم أو من المتاجرين بالبشر، يقوم الأهل بإعادتهم في مقابل كيس من الأرز كتعويض. وبسبب أن الجميع تربطهم ببعضهم صلة قرابة، فحتى لو كانت هناك قضية في المحكمة يتم اسقاطها دون أي اعتبار لما يحدث فيما بعد.» العلاقة بين المسئولين عن انفاذ القوانين وتجار البشر لا تقبل الشك. وتدرك لوسي مخاطر توليها هذا الامر. «أنا قلقة دائما بشأن سلامتي وسلامة أطفالي». إلا أن هذا القلق بدلا من أن يشل حركتها، يمدها بالمزيد من الأفكار، مثل نادي الأمهات (أنظر أدناه)

«ولذا فإن هؤلاء الأطفال الذين يتم جلبهم إلى المدينة لا يذهبون إلى المدرسة بل يتم إجبارهم على العمل في السوق – سوف يعملون تحت الشمس طوال اليوم ولن يكسبوا نظير ذلك حتى 10 دولار. هؤلاء هم من يتم استهدافهم للذهاب إلى الخارج.»

وكانت مابري، القرية التي تبنتها لوسي، إن جاز القول، قد خسرت عشرات من الأرواح بسبب تفشي داء الإيبولا والكوليرا. وتعتبر النظافة مشكلة كبيرة، كما هو الوصول للتعليم اللائق. وتولت الآن أمر توفير مرافق للمراحيض، ودفع الحكومة لإنشاء مدرسة قريبة من القرية. فهناك أكثر من 1000 مقيم في القرية، ولو تمكنت لوسي من تحقيق ذلك فهي تأمل في توسعة النموذج ليشمل قرى أخرى في مناطق أخرى.

تتعرض العائدات خاليات الوفاض لوصمة عار كبيرة، لذلك يتم الاتجار مرة أخرى بالفتيات على أمل كسب ما يمكنهم من سداد الديون القائمة. ولا تنتهي الحلقة الفارغة. «حتى الشرطة كانوا يهددونا أحيانا، خصوصاً عندما نلح من أجل الملاحقة القضائية. سوف تتلقى مكالمة من مسئول يطلب منك إما أن تلغي القضية أو الاستعداد للمواجهة. مثل اليوم، عندما كنا على الطريق السريع، وجدنا الشرطة يطلبون منا المال. مالذي سيوقفهم من فعل الشيء نفسه مع المتاجرين بالبشر؟ بإمكانهم أخذ المال من أي أحد، وليس فقط المتاجرين. الأمر سهل جداً جداً.»

«أنت تستمع لخمس قصص من خمس نساء، لكن لكل منهن، هذه هي قصتها الوحيدة. فأعاني خمس مرات مما يهيج ذكرياتي. لذلك أحب العمل في المزرعة. فهو المكان الذي أهرب اليه، أدرك أنني ما زلت ضحية...»

بذرة وبرعم وطريق للخروج من الفقر المدقع

في أصل كل هذا تكمن المشكلة الأساسية، الجوع. «ففي سيراليون يواجه 70% من السكان مشكلة كبيرة في توفير الخبز اليومي. فهم يكسبون نحو 60 دولار شهرياً، بينما كيس الأرز يكلف 40 دولار... أترى! إنهم يعيشون في فقر مدقع، وسيفعلون أي شيء في مقابل الحصول على وجبة واحدة. أنهم يائسون وسوف يسمحون لأبنائهم أن يتخذوا قرارات محفوفة بالمخاطر. الكثير من الناس يتضورون جوعاً. ولذا لو جاءهم أحد وقال إنك ستكسب 200 دولار أمريكي، وبمبلغ 200 دولار ستفعل الكثير في سيراليون. حينها فقط ستقول العائلة أنه ربما يتم التضحية بالابنة، حسناً لكن إذا لم تمت فسننجو نحن جميعا مما نحن فيه. لهذا السبب نحن نستهدف النساء، نادي الأمهات، لأن الأطفال سيستمعون اليهن. نناقش الكثير من خلال النادي، مشكلة الاتجار بالبشر، الجوع، وكيفية الحصول على وظيفة. الكثير من هؤلاء النساء هن أنفسهن ضحايا الاتجار بالبشر.»

تقع قرية مابري قبالة الطريق السريع ماكيني. وقبل دخولك القرية ستجد كوخ جمعية بوندو النسائية السرية، والغابة الممنوعة لجمعية بورو الذكورية السرية. في هذه الأماكن ينشئ الأعضاء الجمعيات. وهناك قدسية معينة لكيفية الإشارة لهذه الأماكن، بما يشير إلى القوة التي تمتلكها الجمعية. وتعقد اجتماعات نادي الأمهات في وسط القرية في مبنى مربع به درابزين وسقف. وتجتمع النساء والأطفال هنا بشكل منتظم. ذات يوم نظمت لوسي جولة للأعضاء وعائلاتهم، في المزرعة والقرية، خرج الجميع بكامل قوتهم. كان هناك موسيقى ورقص بشكل تقليدي لجمعية بوندو.

أعضاء نادي الأمهات يعملون معًا بعد الحصاد

«قمنا بتقديم الدعم لهم (نادي الأمهات) بالشتلات» وهم دعمونا بالأرض. على مدار العامين الماضيين، تمكنا من تغطية أكثر من 100 فدان من الأرض – وهي أرض مملوكة للقرية، وتستخدم دائما لأغراض الزراعة لكن ليس بشكل رسمي، فالقرويين لم يحصلوا على أي دعم. والآن استطعنا أن تثبت لهم أن المشروع ليس مستدام فحسب وإنما مربح ايضاً. ويعتبر تزويد هذه العائلات بالغذاء هو الأولوية.» ويتم إعادة استثمار الأرباح في الأرض لدعم النساء من ضحايا الإتجار أو كدن أن يقعن فريسة للمتاجرين بالبشر.

تم شراء أول 17 شتلة من الأرز بتمويل من التبرعات التي استلمتها لوسي عندما بدأت عمل المناصرة. وحالياً قاموا بإعارة 80 شتلة، كما يوجد لدينا 100 شتلة أخرى في التخزين. لكنهم لازالوا يعتمدون على الجرارات والكسارات المستأجرة. وتستخدم الأرض أساساً لزراعة الأرز، وأيضا الكاسافا (نوع من الخضروات)، والبطاطا والخضروات، وتقوم النساء ببيع المنتجات بأنفسهن في السوق. وكما توضح لوسي دورة الزراعة، فهناك تدفق مستمر من النساء والرجال بأدواتهم يسيرون إلى أراضيهم الواقعة إلى الأمام. إن رؤية تجاح نادي الأمهات، والأخرين يقومون بتقليد أساليبهم يثير فرحة لوسي.

"توبيا ماما لوسي" يسألون لوسي عن صحتها، فتجيبهم بسرعة واحداً واحداً – "توبيا ساما" "توبيا فاتماتا" – مع الحذر من الدخول في حديث معهم. تقول ضاحكة «من لديه الوقت لحديث طويل!» وتضيف «هم يروننا نحن العائدون من الشرق الأوسط نعمل في المزرعة، ونكسب المال، وهذا يحفز الأخرين على فعل الشيء نفسه، وإن لم يكونوا معنا.»

وبعيد عن إعارة الشتلات بدون احتساب فائدة عليها، تتسلم الأمهات أيضا دعما للرعاية الصحية من أجل أطفالهن بسبب بقص المرافق في القرية. القرية خلية نشاط. يتم بناء المراحيض بأيد عمال محليين، وفي مكان آخر يتم تجهيز جوز النخيل لاستخراج الزيت منها، وأيضا في مكان آخر يتم خض الزيت يدوياً. نجاح لوسي الأكبر هو انخفاض الجوع بشكل كبير في المجتمع منذ القيام بهذه الأنشطة الزراعية. تقول لوسي إنه عندما يتعلق الأمر بالزراعة فقد تعلمت ذاتياً «لذلك عندما يكون لدي شغف بشيء ما، أبدأ بسؤال الناس وأبذل قصارى لأعرفه بشكل جيد.»

تعتبر المزرعة ومركز DoWAN امتداداً لبعضهما. تتنقل النساء بسهولة بين تعلم مهارة في المركز إلى العمل في الأرض عندما يتطلب الموسم ذلك. ويعتبر دعم المزرعة الكامل للمركز وأن يكون مستداماً ومكتفياً ذاتياً، هو هدف لوسي الأكبر «سوف أحقق ربحا من المزرعة وسأستخدم هذا الربح لرعاية وتمويل المنظمة.»

حتى عندما تقوم لوسي بتسخير قوة النساء في المجتمع، فإن ماكميد كامارا (ATJLF) يعلّق على النساء وعلى ضعفهن وقابليتهن للتعرض للإتجار بهن. ويقول إنه في حين أن صوت الحركة النسائية ونساء سيراليون كان عالياً جداً وقدمن مساهمات هائلة في عمليات ما بعد الحرب، إلا أنهن لاتزال القوة التي يملكنها قليلة. «إن الحديث بصوت عال والدفاع عن حقوقهن شيء، لكن التحدي يكمن فيما إذا كان يتم الاستماع لهن واحترامهن. فيما يتعلق بالسياسات، هناك بعض التطور، لكن عندما يأتي الأمر للسلامة والكرامة على مستوى المجتمع، فلايزال هناك الكثير مما يجب عمله.»

نادي الامهات يؤدين فقرة احتفالية في ساحة القرية

لذا دعونا ننسى الأشياء الصغيرة كالكلمات التي يستخدمها [أصحاب العمل] - مثل «القرود السوداء»، «رائحتك كريهة» «أنتِ لستِ إنساناً»، عندما يقصون شعرك ويجعلونك تستخدم أدوات مائدة منفصلة ... كل هذا يؤثر على الصحة العقلية لعاملة المنزل، لكنها لا تعتبر مهمة. لا أحد يتكلم عن هذه الأشياء «الصغيرة». الجميع يتحدثون عن الأشياء الأكبر. ما لا يفهمه الناس هو أن هناك ربط بين هذه الإساءات اللفظية النمطية، وكيفية النظر لمن يقعون ضحية المتاجرة بهن.

عندما تجرم الصور النمطية، الضحايا

يعتبر فهم التسلسل الهرمي العرقي والتمييز الذي ابتلى به العمال المهاجرون في الخليج أمر بالغ الأهمية لتقوية سبل حمايتهم وإضعاف قبضة المتاجرين بالبشر على الضعفاء والهشين. تعتقد لوسي أن أغلب نقاط الضعف آتية من الصورة النمطية التي لا أساس كبير لها في

الحقيقة، لكنها راسخة إلى درجة لا يمكن لأحد أن يشكك فيها. ويؤدي ذلك إلى سياسات وتدابير لمكافحة الإتجار بالبشر تكرر رواية ليست حقيقية بالكامل.

«لذا دعونا ننسى الأشياء الصغيرة كالكلمات التي يستخدمها (أصحاب العمل) – مثل «القرود السوداء»، «رائحتك كريهة» «أنتِ لستِ إنساناً»، عندما يقصون شعرك ويجعلونك تستخدم أدوات مائدة منفصلة... كل هذا يؤثر على الصحة العقلية لعاملة المنزل، لكنها لا تعتبر مهمة. لا أحد يتكلم عن هذه الأشياء «الصغيرة». الجميع يتحدثون عن الأشياء الأكبر. ما لا يفهمه الناس هو أن هناك ربط بين هذه الإساءات اللفظية النمطية، وكيفية النظر لمن يقعون ضحية المتاجرة بهن.»

يصبح فيما بعد من السهل أن نعلق على هذه الإساءات الصغيرة اتهامات أكبر. المهاجرة الضعيفة تصبح، فيما بعد بغلاء، وأيضا ضحية، لأنها تحتاج المال، وجواز سفرها في قبضة الكفيل، أو الوكيل أو المتاجر بالبشر.

تقول لوسي «مثلما يتحدث الناس عن عاملات المنزل الأفريقيات بأنهن يمارسن الدعارة. أو أن الأفريقيين هم تجار مخدرات. هذه ليست مشكلات مهمة في بلدنا. لا أحد يعرف كيف يصنع مخدرات هنا. أنه يُصنّع ويُستهلك في الدول المتقدمة. لكن عندما يقعون في قبضة القانون، لا أحد يلاحق «المالك»، الشخص الذي يمتلك المخدرات. فهم فقط سينظرون للعامل المهاجر كتاجر مخدرات، أو عاهرة.»

تقول منسقة التحالف العالمي لمكافحة الاتجار بالنساء (GAATW) باندانا باتانيك إن هذا إجراماً قسرياً، وأن الحالات المحتملة لـ 'الإجرام القسري' تتطلب حساسية ورعاية. «الأشخاص الذين يجبرون على ظروف معينة بسبب بوعود كاذبة، من الممكن أن يجبروا على القيام بأنشطة إجرامية من أجل البقاء. الآن هل ترونهم كمجرمين أم ضحايا الاتجار بالبشر؟»

«البعض يُسالون أسئلة أكثر من آخرين في نقاط تفتيش الهجرة، ليس بناء على جنسياتهم وإنما ايضاً على لون بشرتهم، وعلى طريقة ملابسهم، وعلى جنسهم، وعمرهم... إلخ. مداهمات الشرطة تتم بشكل روتيني على المناطق التي يسكنها المهاجرين الفقراء. حتى في مجتمعات المهاجرين أنفسهم، هناك صورة نمطية لمجموعات لتكون أكثر احتمالا لتكون إجرامية أكثر من أخرى.»

تقول باتانيك في حديثها عن المعايير والممارسات الدولية، إن بروتوكول باليمورو (بروتوكول منع، وقمع ومعاقبة المتاجرين بالأشخاص، خصوصا بالنساء والأطفال، المكمل لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية UNTOC) لا يذكر الأجرام القسري بشكل صريح، ولا مبادئ عدم المعاقبة التي يجب تطبيقها عند التعامل مع المجرمين القسريين. «لكن هذه المشاكل تمت مناقشتها بالتفصيل في الكثير من تقارير الأبحاث خلال العقد الأخير. وأوصى الفريق العامل التابع لمؤتمر الدول الأطراف UNTOC (2009، 2010)) بضرورة الاعتراف بالإجرام القسري وأن يتم تطبيق مبدأ عدم العقوبة. الكثير من وكالات إنفاذ القانون بمن فيهم الانتربول اعترفوا بظاهرة الجريمة القسرية.»

على الرغم من أن الخطابات والسياسات المتعلقة بمكافحة الاتجار تشمل وبشكل متزايد، الضحايا والناجيات، إلا أن لوسي لا تثق في العملية. « أشعر أنهم يذهبون إلى هنام لعمل المقابلة – كيف تذهب، وكيف تأتي؟»

لقد تم تجاوز التفاصيل الدقيقة في القصة الحقيقية. «يريدون أن يعرفوا عن الاغتصاب، والإساءة الجسدية. في حين أن الصدمات اليومية لها ذات الأهمية. الأطفال يبصقون عليّ، المدام تناديني بالقردة... تتعرض لتجريدها من الإنسانية بشكل يومي. مثل لو أعطاني

والدي كوبا من الماء وقال أن هذا عقاب، فلن تعتبره عقاب. لكن إن كان عليك أن تمسك الكوب لساعات وساعات، فإن الضغط على ذراعك سيتحول إلى عقاب قاسي. الأمر نفسه مع هذه الأشياء 'الصغيرة' اللاإنسانية. أنها تصيبك بالشلل. وعقلك يكف عن العمل.»